

خلفية تاريخية حول السودان الجديد

يحيى بن عوف

فاذا اعدنا قراءة التاريخ منذ عهد كوش والنوبة وعلوة والفونج والفور والحكم التركي المصري والمهدية والحكم الانجليزي المصري وحتى وقتنا الراهن نجد ان السودان ونحن السودانيون قد تميزنا دائماً بحضارات لامثيل لها وهذا جوهر حقيقة التنوع التاريخي للسودان وعليه يصبح من الضروري تأكيد ذلك وعلينا كسودانيين تذكير انفسنا باننا شعب تاريخي يجب التصدي ومواجهة المجهودات المتصلة والمكثفة التي تبذلها الجبهة الاسلامية ونظائرها لدفعنا خارج اسوار التاريخ ان السودان اليوم يشكل ناتجا غير مكتمل لصيرورة تاريخية طويلة ومعقدة فقد تعرض وطننا بلاد السودان الى عملية مستمرة من التفاعلات والتحويلات عبر التاريخ تغيرت خلالها هويته شكلا ومضمونا من وقت لآخر وفقاً لتفاعلات وتداخلات السلطة بين القوى السياسية والاجتماعية التاريخية لكل فترة بعينها وهكذا فقد اضحى السودان بفعل هذه التطورات نسيجاً متنوعاً عرقياً ثقافياً ولغوياً بالإضافة الى تنوع اجتماعي اقتصادي وجغرافي وبسبب هذا التنوع يميل العديد من المراقبين الى وصف السودان بالصورة المصغرة لافريقيا والتي يجسد الكثير لخصائص افريقيا ككل ويرمز هذا التباين الى التنوع المعاصر للسودان.

تميز تاريخ الشعب السوداني بالصراع المستمر والنضال ضد الاضطهاد الغزو والاستغلال فمنذ الماضي وحتى يومنا الحاضر ظل الشعب السوداني يناضل من اجل الحرية والعدالة والكرامة فالنضال الذي تقوده قوى السودان الجديد ممثلة في كافة فصائل الحركة الديمقراطية في الشمال والحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير السودان في الجنوب والمناطق المهمشة جزء لا يتجزأ واستمراراً لنضالات السابقة قبل خلال وبعد الاستعمار ويجب علينا في اطار هذا السياق التاريخي ان نستقصي ونبحث في جذورنا التاريخية بغرض تطوير مفهوم القومية السودانية يتمتع بالقدرة على تعبئة كل السودانيون حول اهداف التكوين القومي البناء الوطني والوحدة الوطنية ويميز انجاز هذه المهام السودان الجديد من السودان القديم الذي اتسم بكل اشكال الهيمنة السياسية والثقافية والاقتصادية الاجتماعية وتأسيس السودان جديد لا يتم الا بالتشديد على والتمسك بجميع مكونات التنوع التاريخي والتنوع المعاصر والسودان الجديد هو اطار قومي (اربطة) وهوية وطنية يرتكز على هذا التنوع المضاعف والمتعدد المكونات وهذا على وجه التحديد ما يميزه عن السودان القديم الذي يقوم على عنصرين فقط من مجموع عناصر تنوعنا التاريخي والمعاصر يفرض علينا هذا الواقع الموضوعي العمل على تفعيل مفهومي السودان الجديد والسودانية الجديدة واستخدامها كأسلحة فكرية حية للنضال من اجل التكوين القومي النهضة الوطنية ووحدة الشعب السوداني.

ان ترسيخ مفهوم السودان الجديد وما يعبر عنه من مهمة تاريخية ومصيرية يستدعي وبالضرورة تضمينه في المناهج التعليمية كما ولا بد ان ينعكس في توجهاتنا وكل مؤسساتنا ان السودان الجديد هو وحده القادر على توحيد اهل السودان وعلى ضمان تماسكهم مع بعضهم البعض وبدونه لن تكن للمجموعات المتباينة التي تعيش الان في السودان الجغرافي أي رغبة او مصلحة حقيقية في التعايش او الارتباط بشكل آخر لسودان قديم - كالسودان الراهن- الذي يفضل مجموعة على اخرى ويستبعد البعض تماماً ولا يوفر مكانة متساوية وفرصاً متكافئة لكل القوميات اصحت مفاهيم الهوية القومية البناء الوطني والوحدة الوطنية في السودان القديم مجرد شعارات استخدمت في الاضطهاد القومي والهوس الديني وذلك بسبب ان الامة السودانية لم تتطور من خلال منظور يحده واقع هذه الامة في الماضي والحاضر بل من خلال منظور غير واقعي تم فرضه بواسطة مجموعات مصالح ذات افق محدد يتوافق مع مصالحها الضيقة تأتي مبادرة السودان الجديد التي طرحتها قيادة الحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير السودان كاستجابة موضوعية لهذه المعطيات التاريخية وتهدف الى نهضة سودانية لاستعادة امجاد السودان التاريخية وتوفير الرفاهية لشعبه والمساهمة الفاعلة في الحضارة الإنسانية كدأبه أبداً.

الظروف الموضوعية لنشأة فكرة السودان الجديد

في عام ١٩٨٣ دفعت الحركة الشعبية و الجيش الشعبي لتحرير السودان برؤية وهدف لخلق السودان جديد أي جامعة ورابطة اجتماعية وسياسية سودانية جديدة ينتسب اليها كل السودانيون منتفعين منها جميعاً ويؤدون لها طوعاً وفروض الولاء الكامل من أي اطار قومي ينتمي اليه الجميع بغض النظر عن العرق والقبيلة والدين او الجنس وقد افتقر السودان لهذه الرابطة منذ استقلاله في ١٩٥٦ مما افضى الى مأساة تسببت في حربين اهليتين استنفدنا (٤٦ عاماً) من عمر استقلالنا مضت تسعة عشرة عاماً وبقي مفهوم السودان الجديد مستحوذاً على مخيلة غالبية جماهير السودان خصوصاً في المناطق المهمشة وبنفس القدر على الكم المهمل من معلمي سكان المدن وفي اواسط المتقنين وقد اكد المؤتمر الوطني الأول للحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير السودان الذي انعقد في العام ١٩٩٤ التزام الحركة بقيام السودان الجديد في

وقت كانت تواجه تحدياً فرضته عليه قوى متمردة من الانتهازيين في الجنوب كما اكتسب مفهوم السودان الجديد بعداً شعبياً مما اجبر حتى الجبهة الإسلامية على التمسح على اعتابه وذلك بانتقاء بعض شعارات السودان الجديد واستخدامها لأغراض دعائية إن المهمة الثنائية والتي تتمثل في بناء الدولة الوطنية والتحرير الوطني ظلت على الدوام الهدف المقدم للحركة الشعبية.

وهذه الآلية المسماة السودان الجديد والتي تطرحها الحركة اليوم لشعب السودان لهي مبادرة جديدة وهامة للنضال في سبيل السودان الجديد منذ استيلاء الجبهة الإسلامية على السلطة عام ١٩٨٩ ظلت الحركة في حوار مستمر مع قوى المعارضة السودانية الأخرى مجتمعة عبر التجمع الوطني الديمقراطي وعلى المستوى الثنائي كاحزاب ومنظمات حول كيفية إسقاط نظام الجبهة الإسلامية إن السودان الجديد هو استجابة ومساهمة الحركة الشعبية في هذا الحوار والسودان الجديد مشروع مقترح لكل المواطنين السودانيين دون اعتبار لانتماءاتهم السياسية السابقة وبناء على ما تقدم فإن قوى السودان الجديد وفقاً للتصور الراهن تشمل على هياكل سياسية وعسكرية إضافة إلى المناشط المختلفة لمنظماته فعلى الجانب السياسي فإن قوى السودان الجديد سوف تنتظم في مجموعات أساسية من الخلايا السياسية في الداخل والخارج معاً ستكون المحصلة النهائية لتفاعل قوى السودان الجديد المتعددة في إطار الية قوى السودان الجديد بناء حركة قومية جديدة للسودان الجديد لها القدرة على تحقيق أهدافه وصيانة وحدته على أسس جديدة هذه الحركة الجديدة ستقوم بصياغة تطوير وتنفيذ مشروع برنامج وطني وقومي جديد وهكذا تهدف قوى السودان الجديد أساساً إلى القيام بدور العامل المساعد (الحفاز) لتشكيل حركة سياسية قادرة توكل لها مهمة أحداث التحول في السودان القديم وخلق السودان جديد تمثل هذه الحركة تركيبة من كل القوى الهادفة في كل أنحاء الوطن إلى تغيير اقتصادي اجتماعي تركز على تجارنا التاريخية والمعاصرة مستشعرة وتملك استعداداً لمواجهة التحديات الضخمة التي يندر بها قدوم القرن الحادي والعشرين.